عقبات فى طريق الدعوة
واقترحات للتغلب عليها

الأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الجويشى
عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد .

فإن العقبات التى تواجه الدعوة الإسلامية فى الداخل والخارج كثيرة ومتشعبة . وقد يبدأ بعضها قبل سنى الدراسة وبعضها أثناء الدراسة نفسها وبعضها من المناهج الدراسية التى يتربى عليها طالب الدعوة وبعضها من الأستاذة الذين وكل إليهم إعداد الداعية وتوجيهه، وقد ينشأ بعضها من الوضع العام الذى يطلب إلى الداعية أن يعمل من خلاله وأن يساير أوضاعه وأن يغمض العينين عما يقدم عليه رجال فى مواقع المسئولية من تصرفات تعارض القيم التى يحمل الداعية راية الدعوة إليها وينصب نفسه حريصا عليها ويقع بين شقى الرحى حينما يوجه إليه سؤال أو يرى وضعا معينا ينتظر منه جمهوره أن يكشف لهم عن وجه الحق فيه أو أن يجد بحكم مسئوليته الدينية أن يبين عن مدى إتفاق هذا التصرف أو ذلك الوضع مع القيم التى يدعو الناس إلى الأخذ بها والسير على منهاجها فإن أبدى وجهة نظر صادقة واعية أمينة عرض نفسه لمؤخذات لا يدرى لها نهاية ووضع مستقبله ومستقبل بنيه فى مهب الريح ، وأن أغمض الطرف عما فى هذه الأوضاع من مخالفات ، وعما بها من تعارض مع القيم التى يقوم على الدعوة إليها وحث الناس على إتباعها فقد ثقة الناس فيه ولم يجد لدعوته سميعا حين يدعو، وتلقى الناس ما يقوله بكثير من الإستهزاء والسخرية وشر ما يصاب به الداعية فى مجال عمله أن يجد نفسه فى واد ومن يدعوهم فى واد آخر، وحينذاك ينصرف الناس إلى الإستماع من غيره والإقبال على سواه ، وأخذ ما يقوله هذا الآخر بعين القبول والإعتبار، وينشأ عن ذلك الأخذ بالأفكار غير الناضجة وقبول الأراء غير المستقيمة لأنها جاءت من طرف آخر غير ذلك الطرف الذى فقدوا ثقتهم فيه ، وفى ذلك ما فيه من خطر على الدعوة وعلى الجمهور الذى نتجه بالدعوة إليه .

وعلاج هذه الظاهرة أن نؤمن لهذا الداعى مستقبله ونحميه من التعرض له فى حريته أو رزقه أو مستقبل أولاده ، فإن تحقق له ذلك إستطاع أن يجهر بالحق بدون

خوف وأن يواجه الخطأ فيدعو إلى إصلاحه على ضوء ما تدعو إليها وحينذاك يتردد صاحب النفوذ والمسئولية قبل أن يقدم على تصرف ما لأنه يدرك أن هناك من يجرؤ على التنديد بما يقدم عليه من خطأ دون خوف أو وقوع تحت طائلة التهديد أو العقاب، وبذلك يستقيم قطاع كبير من المجتمع وتمضى الأمور فى يسر وسهولة إلى جانب أن هذا النوع ممن يكون فى أيديهم مقاليد الأمور يرون أن مكانتهم ستقوى ومراكزهم تثبت حينما يعرف عنهم الإلتزام بالحق والحرص على العدل وفى الوقت نفسه ينال الداعية ثقة المدعوين والجماهير التى يعمل بينها فتسمو مكانته ويسمع له حينما يقول، ويطاع حينما يأمر ويؤخذ برأيه حينما تحتاج الأمور إلى مراجعة وبحث لأنه صار معروفا أنه لايخاف فى الله لومة لائم والنتيجة الطبيعية لذلك أن يتوثق الصلات بين أفراد المجتمع حاكمين ومحكومين، وأن تستجيب النفوس للنصيحة لأنها صادرة عن حر الإرادة، يقول ما يعتقد دون التعرض لمصادرة أومضايقة أوما شاكل ذلك من الأساليب التى نعرفها جميعا والتى تعج بها مجتمعاتنا الإسلامية .

وعند ذلك ستقطع الطريق على كل رأى منحرف، وفكر غير ناضج سواء كان رأيا يلبس لباس الدين، أوكان رأيا ينادى بأفكار تستهوى عقول بعض الناس، وربما ينزلقون إليها حينما لايجدون الكلمة الحرة والرأى الواضح من الدعاة الذين يتولون هداية الناس وتوجيههم، أذن لتتخطى هذه العقبة علينا أن نؤمن للداعية حياة رخية ومسكنا مريحا، ومقدرة مالية تمكنه من التصرف بين الناس بما يصلح فسادهم ويرأب الصدع الذى وجد فى علاقة الداعية بجمهوره نتيجة لضغوط أصحاب السلطة وقبل كل ذلك وبعده أن نؤمنه من التعرض لضغوط تقع عليه من هنا أو من هناك .

أما ما يبدأ قبل سنى الدراسة فإن الحالة التى يُرى عليها الداعية فى المجتمع من وضع إجتماعى غير لائق، ومن ظروف مالية سيئة، ومن نظرة إلى الداعية فى بعض البلاد لا تنم عن الإحترام ولا عن التقدير، ومن مظهر سيء ينشأ نتيجة هذه العوامل مجتمعة يجعل النظرة العامة للداعية نظرة إن خلت من السخرية فلا تخلو من الإشفاق والعطف الذين يحتاج إليهما رجل فى وضع سيء إجتماعى وإقتصادى وكل ذلك ينعكس على نفس من يقوم بالدعوة ويصيبه بالإحباط، وينظر إلى عمله نظرة من

يتخذه وسيلة ليس أمامه سواها ليحصل على لقمة العيش، فيؤدى عمله إن أداه آليا لاروح فيه ولاحماس ولاحرارة عند ذلك تضيع الفائدة المرجوة والنتيجة المنتظرة من الداعية، لأنه لن يستطيع التأثير الإيجابى فيمن حوله بل من المؤكد سيكون تأثيره سلبيا، وبذلك يفقد القدرة على الاتصال مع الناس، ويعيش بينهم على الهامش، فلا يشارك برأى ولا بتوجيه، ولا يتقرب منه الجمهور شيئا قبل ذلك، لأنه حكم عليه أن يعيش منزويا ضعيف الشخصية فاقد التأثير بسبب ما ينوء تحته من ضغوط تدفعه إلى هذا السلوك دفعا .

فإن رأى شبابنا هذه الصورة التى رسمناها لوضع الداعية فى مجتمعه عزفوا عن الرغبة فى العمل فى هذا الميدان، وبحثوا عن مجال آخر يحقق لهم المكانة والطموح والقدرة على الإبداع والتأثير والإحترام بين الناس .

وهذه الظاهرة مرهونه بأسبابها ودواعيها فإذا أردنا أن نزيل هذه العقبة الكؤود من طريق الدعوة فعلينا أن نبحث عن علاج لإستئصال أسبابها، ويكون ذلك بجملة واحدة أن أردنا الإختصار هى أن نحقق للداعية «حياة كريمة» ويتحقق ذلك أولا : بأن نأخذ فى اعتبارنا أن نجعل للداعية راتبا سخيا، ولئن حكمنا فى تقدير الرواتب للدعاة قانون الأجور العام للدولة فإننا نستطيع أن نضيف إلى ذلك ما يسمى ببدل تمثيل دعوى على غرار ما يتبع فى إحتساب مرتبات الدبلوماسيين مثلا فإنه يضاف إلى أصل المرتب أضعاف كثيرة تجعله قادرا على الوفاء بالتزامات الحياة وأكثر بكثير إن فعلنا ذلك نكون قد حصّنا الداعية من ذلة الحاجة والشعور بالنقص .

ثانيا : الداعية له دور فعال ومؤثر إن تحققت له شخصيته المستقلة الغنية عما فى أيدى الناس، ولكن عليه بعد ذلك التزامات يتطلبها عمله بحكم صلاته بالناس وإحتكاكه بهم والوقوف على مشاكلهم وإحتياجاتهم، وخلافاتهم وقد يحتاج ذلك إلى من يقول فيسمع له، ومن يقدر على أن يسع الجمع فى مكان خاص به، ويقدم لهم ما يحتاجه هذا اللقاء من مكان صالح للإجتماع ومن تحية تقدم وفى بعض الظروف من طعام يجمعهم عليه ليناقش معهم بعض القضايا أو المشكلات التى تواجههم

أو تواجه قطاعاتهم ويبحثون لها عن حل، فإن إستطاع الداعية أن يقوم بهذه الإلتزامات كان فى مركز الدائرة بالنسبة للمجتمع الذى يعمل فيه وكان محط الأنظار تتجه إليه وتضع أمامه مشاكلها فتجد عنده الحل، وتلقى المكان الرحب واللقاء السمح والقول الطيب والقدرة الصالحة، ولكن لايستطيع أن يحقق ذلك الذى يطلبه منه إلا إذا يسرنا له الأدوات والإمكانات التى تمكنه من التصرف على النحو المشار إليه، وذلك بأن تضع فى خطتنا لإعداد الدعاة أن يكون له مسكن مريح مؤثث وأن يلحق به ديوان يلتقى فيه بأفراد الجمهور ويناقش معهم قضاياهم أو يعرض عليه بعض المشروعات التى يراها نافعة لهم، ولا شك أن وجود هذه الأمكانات ستدفعه إلى العمل والسعى والبحث والعيش مع الناس فى أفراحهم، واتراحهم، ويتوج ذلك بأن يخصص له مبلغ مجز من المال يعينه على النهوض بتلك الأعباء مضافا إلى راتبه .

وأنى حينما أقترح أن تهيأ للداعاية هذه الظروف استعرض فى مخيلتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يدعو بنى هاشم إلى الإسلام أعد لهم طعاما وجمعهم عليه مرة وثانية وثالثة حتى تمكن من إخبارهم بما جاء به، وهذا يعنى أن الدعوة إلى لقاء على طعام أو شراب حلال تناقش فيه بعض القضايا الهامة سنة إسلامية أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعدها منذ فجر الدعوة .

وإذا ما كان للداعية هذه المكانة المرموقة فى مجتمعه والكلمة المسموعة بين الناس، والمشاركة الفعالة فى أمور الحياة إجتمعت حوله القلوب وإستطاع أن يعرف قدرات الناس من حوله، وأن يتوسم فى أعداد من الشباب والناشئة الإستعداد للعمل النافع الجاد والرغبة فى الخدمات العامة، فقام بتوجيههم وتقديمهم للجهات المعنية بإختيار العناصر الصالحة للعمل فى مجال الدعوة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن ما يتمتع به من وضع متميز قياديا وسلوكيا وخلقيا ودينيا وإجتماعيا وإقتصاديا سيدفع الكثيرين ممن عندهم الإستعداد الصالح أن يرغبوا فى أن يتحقق لهم ما يتحقق له، وأن يسلكوا الطريق الذى سلكه، وبذلك تزول هذه العقبة الأولى من العقبات التى تعترض أمر الدعوة ثم تأتى العقبة الثانية،وهى العقبة التى تعترض الداعية أثناء سنى الدراسة، وهى عقبة ذات شعب .

الشعبة الأولى : الظروف التى تحيط بالطالب فى مرحلة الدراسة وهذه الظروف تجعله فى أغلب الأحيان ينصرف عن الدارسة إلى عمل ما يجلب عليه من المال ما يستطيع أن يواجه به متطلبات الحياة من حولة ثم يأتى أواخر العام فيبحث عن الكتب يعكف على قراءتها شهرا أو شهرين ثم يجلس إلى الإمتحان يفرغ فى ورقته ما علق بذهنه وهكذا حتى ينتهى به المطاف إلى الحصول على الشهادة التى تضمن له عملا إى عمل يكون وسيلة لزيادة دخله يستعين به على مواجهة أعباء الحياة أما الدعوة والتزاماتها فهذه أمور هو مشغول عنها بمطالب الحياة الضرورية وحسبه أن يؤدى الجانب الشكلى منها حتى لا يحرم من عائدة المادى .

ولنزيل هذه العقبة نرى أن لطالب الدعوة حياة عملية جادة خلال النهار، وإقامة مهيأة بكل الوسائل التى تعينه على التحصيل ومكافأة مالية مجزية تجعله لا يفكر فى وسائل يكتسب منها بعض المال لأنه لم يعد فى حاجة إليه، وفى أثناء هذه الإقامة تكون هناك مناهج متابعة للطالب ترعى سلوكه، وترقب إلتزامه بواجباته الدينية، وتهيىء له فرصا منتظمة يلتقى فيها بأشهر الدعاه وأقدر الأساتذة يأخذ عنهم تجاربهم، ويتعرف إلى مناهجهم وأفكارهم، ثم يعقب ذلك حوار يعرض فيه ما يدور بذهنه ويتلقى عنه إجابات مقنعة واعية تفتح أمامه الآفاق، وتضع قدميه على أول الطريق، وبذلك نربيه على إستقامة السلوك، والحفاظ على العقائد والعبادات والإلتزام بالقيم والأخلاق، وتكوين الشخصية القيادية المستقلة التى تتسم بالقدرة على مواجهة ما يعرض من مشاكل فى حكمة وروية وأناة .

والشعبة الثانية من هذه العقبة تتمثل فى المناهج الدراسية التى يتلقاها، فإننا نلحظ أن الطالب يخرج وليس لديه إلا معلومات غائمة عن كثير من الأمور التى يطلب إليه أن يعالجها ويقدم للناس الرأى الصحيح فيها، وقد تكون الصورة النظرية للمناهج مرضية ولكن التطبيق العملى لها لا يحقق الأمل المرجو منها، وقد يكون السبب الرئيسى فى الهبوط بالمستوى إلى هذا الحد أن الإعتماد فى التحصيل يقوم على إستيعاب ما يلقيه المحاضرون بعد طبعه فى مذكرات أو كتب وتنقطع الأسباب بين الطالب وبين الرجوع إلى المصادر الرئيسية التى تعالج هذه الأمور وبخاصة فى مواد التفسير

والحديث والفقة والعقائد والأصول ويمكن التغلب على هذا الجانب من هذه العقبة بأن نمد الطالب بالكتب الأمهات فى المواد الإسلامية الأساسية ونطلب إلى الأساتذة أن يجعلوها الأساس فى تدريبهم ويكلف الطلاب بإعداد بحوث تتناول موضوعات هذه الكتب ومناهج مؤلفيها، ويكون لهذه البحوث إعتبار عال فى تقدير درجة النجاح لكل طالب فى آخر العام .

هذا إلى جانب أن يزود الطالب فى كل عام بعدد من الكتب الأمهات لتكون نواة لتكوين مكتبته، وتعد مسابقة سنوية للطلاب فى بعض هذه الكتب ترصد لها مكافأة سخية يحصل عليها كل من إجتاز هذه المسابقة بنجاح حسب مستوى نجاحه وأعتقد أننا بذلك نكون قد ساعدنا مساعدة فعلية على تكوين طالب الدعوة تكوينا علميا .

ومن الأسس الهامة التى يجب علينا أن نوليها إهتماما كبيرا فى فترة إعداد الطالب أثناء الدراسة حفظ القرآن الذى يجب أن يلتزم الطالب إزاء بحفظ ربع القرآن الكريم كل عام من سنوات الدراسة الأربع كما هو متبع الآن ولكنى أرجو أن يكون القدر الذى يلتزم الطالب بحفظه هو القدر الذى نقرره عليه فى مادة التفسير لتساعد كل مادة الأخرى فى درجة الإتقان .

أما الأسلوب الذى يعرض به الداعية أفكاره واللغة التى يستعملها، فيصاب كثير منا بالأسى والضيق حينما يستمع إلى بعض الدعاة وقد أفسد اللحن ما بينهم وبين مستمعيهم وحال ضعف المستوى التعبيرى بين الفكرة وبين وصولها إلى المتلقين، ولهذا فأعتقد أننا جبرا لهذا النقص نضيف إلى مواد الدارسة مادة جديدة نطلق عليها «نصوص وأساليب» تقوم على إختيار طائفة من الأساليب والنصوص التى تمتاز بالوضوح والإشراق والقوة والجمال الأدبى والتنظيم الفكرى، تدرس للطالب فى هذه المرحلة بإعتبارها نماذج تحتذى فى طريقة العرض ووضوح الهدف وأدلة الإقناع وصحة التعبير وسداد الرأى، ويكلف الطالب بإستظهارها ليكتسب مادة لغوية وتعبيرية تعينه على تحسين أدائه وتسعفه إن أراد الإقتباس، ولاننسى عند دراستها أن يتعرف الدارس من خلالها على صحة النطق نحويا ولغويا، بمعنى أن يتعرف على القواعد من خلال دراسة النص.

هناك ملاحظة أخيرة تلك أن مناهج الدراسة تشتمل على محاضرتين فى اللغات الأوربية كل أسبوع خلال سنى الدراسة فإذا أردت أن تتعرف على حصيلة هذه الدراسة بعد السنوات الأربع فسترى ما يثير الأسى والجزع لضياع هذا الوقت هدراً، وغالباً ما يكون من العسير على الطالب أن يستطيع النطق الصحيح لجملة واحدة فى تلك اللغة علما بأنه قضى قبل ذلك ست سنوات يدرس أثناءها هذه اللغة، ويمكن أن تتصور مدى الفشل الذى نشعر به حينما نجد الطالب، بعد دراسة لغة ما عشر سنوات وقد عجز عن النطق بجملة أو سطر صحيح منها، فما بالك بالقدرة على فهم ما يقرؤة علما بأننا فى حاجة ماسة إلى أن نعد من الدعاة من يكونون قادرين على التحدث ببعض اللغات الأوربية وفهمها فهما جيدا لسببين أولهما يوجد من المسلمين فى أفريقيا وآسيا وأوربا وأمريكا من يتكلم هذه اللغات ولا يفهم سواها فلا بد أن يكون لدينا من الدعاة من يقدر على مباشرة الدعوة بها حديثا وخطابة وكتابة ومناقشة، وقد ندرك مدى أهمية إتقان هذه اللغات حينما نعلم أن المسلمين الذين يتحدثون الإنجليزية مثلا يفوق عدد المسلمين الذين يتحدثون اللغة العربية ولا بد أن نبلغ الدعوه لهؤلاء باللغة التى يفهمونها هذا أول السببين.

أما السبب الآخر فإنك تجد فى هذه اللغات كتبا كثيرة تتحدث عن الإسلام وعن نبّى الإسلام وعن القرآن والسنة والحضارة الإسلامية حديثا فيه الكثير من التشويه والأخطاء وإذا لم نعرف اللغات التى ألفت بها هذه الكتب فسنقف عاجزين عن رد هذه المفتريات هذا من جانب، وسنترك الطريق مفتوحاً أمام الأخطاء التى تحفل بها هذه الكتب لتسرب إلى عقول وقلوب المسلمين الذين يقرؤن تلك اللغات من جانب آخر اذن فلا بد لنا أن نولى دراسة هذه اللغات من الجدية والإهتمام ما ينهض بها إلى المستوى الذى نتطلبه فى رجل الدعوة وبخاصة الذى ينهض بأعباء الدعوة فى بلد تتكلم أحدى تلك اللغات.

وأذكر أننا فى السبعينات فى إنجلترا اطلعنا فى جريدة التايمز وهى أشهر الصحف الإنجليزية على الإطلاق على صورة لشخص يرتدى عمامة ومكتوب أسفل منها محمد يقول للجبل إذا لم تجىء إلىّ فسأنتقل إليك، وثارت عواطف المسلمين الذين اطلعوا

على هذه الصورة لإنهم أحسوا أن فيها تعريضا برسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبنا إلى رئيس التحرير خطاباً نعترض فيه على ما جاء فى جريدته ونبين له مدى ما تركت من أثر سيىء فى نفوس المسلمين فرد الرجل بخطاب يعتذر فيه، ويقول إنه لم يدر بخلده ولا بخلد أحد من هيئة التحرير أن فى ذلك اساءة إلى قراء الجريدة من المسلمين، ولهذا فهو يعتذر ويتعهد بأن لا يحدث ذلك مرة ثانية، وهناك وقائع كثيرة مماثلة ليس هنا مجال لسردها.

والشعبة الثالثة : هو إختلاف أهداف مناهج كليات الدعوة المذهبية فى العالم الإسلامى فإن هذا الإختلاف يشكل إنقساما فى طريقة الدعاة، ويؤدى إلى صراع بينهم قد يأتى بأضرار لا حد لها مما نشهد آثاره فى كثير من البلدان التى يتوجه إليها مبعوثون للدعوة من مؤسسات مختلفة، فإنهم يدخلون فى صراع يهدد أمن الأماكن وإستقرارها، ومن أمثلة ذلك أن دارسين فى معهد من المعاهد الإسلامية عادوا إلى بلادهم التى يسودها المذهب الشافعى، ويرى الشافعية أن القنوت فى صلاة الصبح سنة وأراد الدعاة الجدد أن يوقفوا القنوت فى صلاة الصبح لأنهم درسوا أن رسول الله لم يفعله إلا عند النوازل، وأخذوا يجادلون فى ذلك ويصرون على أن يوقفوا الناس عن القنوت فى الصباح حتى امتد الخلاف وهدد بما لا تحمد عقباه لولا أن تدخل شخص فى موقع المسئولية فأستدعى هؤلاء وأفهمهم أن هذا أمر خلافى بين المذاهب وليس من الحكمة إثارته وليس أمراً أساسياً فى الدين، ومثل هذا التصرف يحصل فى كثير من الأماكن التى يذهب إليها المبعوثون للدعوة، وحتى لانقع فى آثار الفرقة التى تترتب على هذا النزاع يجدر بنا أن نزود الدعاة إلى بلد ما بما يلزمهم الوقوف عليه من حياة هذه المجتمعات وما يتبعه أهلها من مذاهب المسلمين حتى لا يكونوا دعاة قلق وشقاق، وأذكر أننى مرة فى لندن صليت بالناس التراويح فى رمضان ثم جاءت صلاة الوتر، فصليت ركعتى الشفع وسلمت ثم ركعة الوتر، وأحست أثر تململ بين بعض المصلين ثم عرفت أن جمهورهم أحناف يصلون الركعات الثلاث بتسليمة واحدة مثل صلاة المغرب فشرحت لهم السبب ولكننى بعد ذلك كنت أدعوا أحدهم ليؤمهم فى صلاة الوتر حتى لا يثور خلاف على أمر لا يترتب على فعله أو تركه حرمة .

وأحيانا تكون العقبة ناشئة من الأساتذه الذين يتولون إعداد الدعاة، فإنهم ينسون أنهم قدوة وأنهم يعدون جيلا يحمل أمانة الدعوة ويلقن مبادئها إلى جيل يأتى من بعده، وهذا يقتضى أن يكون قدوة فى رحابه الأفق ولين الجانب، والحلم والأناة، ومجاورة الآخرين بالحسنى

﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن . . ﴾[1]

ولاشك أن الرفق فى الحوار يجعل الطرف الآخر يتخلى عن عناده، وأن العنف يدفعه إلى الشطط ونحن نقرأ جميعا ثناء الله على نبيه بالرحمة واللين وعدم الغلظة ولكننا ننسى ونحن نتحاور مع مخالفينا فى الرأى أو العقيدة فنقسو عليهم، وندفعهم إلى العناد، والله يقول لنبيه صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك، فأعف عنهم وأستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾[2] (. . . . .)

والأستاذة مطالبون بأن يضربوا المثل لطلابهم حتى ينسجوا على منوالهم إذا ما ألقى به فى خضم الحياة والتعامل مع أنماط متعددة من الناس ذوى نزعات وطبائع مختلفة بين سلس القياد سهل الأقتناع وبين شموس جموح العاطفة لا يسس قياده إلا من يأخذه بالرفق واللين والحلم والأناة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن الله رفيق يحب الرفق وفى الأمر كله[3] «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ومالا يعطى على شىء سواه»[4] وهنا يحضرنى موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثمامة بن أثال الحنفى سيد أهل اليمامة قد كان أراد قتل رسول الله فعصمه الله منه، وأهدر رسول الله دمه، وحدث أن خرج من اليمامة معتمر فظفرت به خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنجد فجاءوا به أسيرا، وهم لا يعرفون من هو، فربطوه بإسطوانة عند باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرآه مربوطا فعرفه، وقال لهم : أتدرون من أخذتم؟ هذا ثمامة ابن أثال الحنفى، ثم أمرهم أن يحسنوا إسره، ورجع إلى أهله فأمرهم أن يبعثوا إليه بما عندهم من طعام، وأمر بناقته أن

تذهب إليه في الصباح والمساء ليشرب من لبنها وكان يمر به ويعرض عليه الإسلام فيأبى، وكلما سأله ما تقول يا ثمامة؟ أجاب : إن تسأل مالا تُعطه، وإن تقتلْ تقتلْ ذا دم، وإن تُنعمْ تُنعمْ على شاكر، وبعد أيام أمر رسول الله أصحابه أن يطلقوه ويفكوا إساره فخرج الرجل إلى مكان تجتمع فيه المياه خارج المدينة فأغتسل، ثم عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد شهادة الحق، ثم قال : يارسول الله، والله لقد قدمت عليك وما على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك، ولا دين أبغض إلى من دينك، ولا بلد أبغض إلى من بلدك، وما أصبح على وجه الأرض وجه أحب إليّ من وجهك، ولا دين أحب إليّ من دينك، ولا بلد أحب إليّ من بلدك .

وقال يارسول الله إن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فمر من يسيرني إلى الطريق، فأمر من يسيره، فخرج حتى قدم مكة، فلما سمع المشركون به جاؤوه قائلين :

يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك . قال : لا أدري ما تقولون، إلا أني أقسمت برب هذه النبيه لا يصل إليكم من اليمامة شيء مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمد عن آخركم، وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة، ولما عاد حبس عنهم ما كان يصلهم منها، فلما أضربهم ما فعله ثمامة كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستنجدون به ويذكرونه بصلة الرحم بينه وبينهم قائلين : إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلة الرحم وتحض عليها، وإن ثمامة قطع عنا ميرتنا وأضرنا، فإن رأيت أن تكتب إليه أن يخلي بيننا وبين ميرتنا، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن خل بين قومي وبين ميرتهم وكان له موقف مشهود لما إرتد أهل اليمامة واتبعوا مسيلمة الكذاب، فكان ينهاهم عن تصديق مسيلمة وأتباعه، ويقول : إياكم وأمرا مظلما لا نور فيه، وإنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم، وبلاء على من لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة، فلما عصوه ورأى أنهم قد مالوا إلى متابعة مسيلمة عزم على مفارقتهم، ولما سمع بمرور العلاء بن الحضرمي قال لأصحابه من المسلمين : إني والله ما أرى أن أقيم مع هؤلاء مع ما قد أحدثوا، وإن الله تعالى لضاربهم ببلية لا يقومون بها ولا يقعدون وما نرى أن نتخلف عن هؤلاء وهم مسلمون، وقد عرفنا الذي يريدون

ولا أرى إلا الخروج إليهم، فمن أراد الخروج منكم فليخرج وإنضم هو وأصحابه من المسلمين إلى العلاء بن الحضرمي وكان لخروجه أثر شديد على معنويات أعدائهم، وكان يقول عن مسيلمة :

دعانا إلى ترك الديانة والهدى ... مسيلمة الكذاب إذ جاء يسجع
فيا عجبا من معشر قد تتابعوا ... له في سبيل الغي والغي أشنع[٥]

وهكذا كانت هذه المواقف حماساً للإسلام ودفاعاً عنه وجهاداً في سبيله بعد ما رأى من صاحب الرسالة ما رأي من تسامح ورفق وحلم وأناة جعلته ينقلب من عدو محارب إلى مؤمن مستعد للتضحية بالنفس والمال، واقف بالمرصاد لكل خارج على الدين مضح في سبيله بكل ما يملك من قوة، وصدق الله العظيم حين يقول: ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذوا حظ عظيم ﴾[٦]

وما أحوج الدعاة والقائمين على أمر الدعوة وإعداد رجالها في المعاهد والجامعات أن يأخذوا أنفسهم بهذا النموذج حتى تشق الدعوة طريقها في يسر وسهولة، هذا الذي تناولناه في الصفحات السابقة بعرض العقبات التي تعترض الدعوة والدعاة في مجتمعاتنا الإسلامية وفي معاهد إعداد الدعاة، فماذا عن العقبات التي تجابه الدعاة في الخارج؟ إنها عقبات من نوع آخر سنحاول أن نستعرضها ونبحث عن علاج لها على ضوء ما اكتسبناه من تجارب خلال عملنا في هذه المجتمعات فترة من الزمن .

أول هذه العقبات تتمثل في عدم تأهيل الداعية التأهيل المناسب للجهة التي يعمل فيها إما علميا وإما لغويا، وتفصيل ذلك أننا لا نجد العدد الكافي من الدعاة المؤهلين علميا والقادرين لغويا على مخاطبة الجماعات التي يتوجهون إليها باللغة التي يفهمونها، ونشعر بكثير من الحرج حينما نتلقى رغبات الجاليات الإسلامية المعبرة عن حاجتها إلى من يبصرهم بأمور دينهم، فلا نستطيع أن نلبي هذه الرغبات لأننا لا نجد من يقدر على الحديث بلغة هؤلاء، وقد يكون أساسه العلمي صالحا لأن يبدأ العمل

ويستكمل ما يشعر بحاجته إليه ولكن لا نصيب له من اللغة فيذهب ثم لايستطيع أن ينهض بأعبائه فيعطى إنطباعا سيئا عن جدوى رجالنا فى مجال الدعوة فى الخارج، ومثل هذه الظروف وهى ظاهرة موجودة بكثرة فى الغرب تعطى الفرصة لشخص ما متواجد هناك ليست لديه القدرة العلمية للتصدى للتوجيه ولكنه يستطيع أن يخاطب الناس بطلاقة باللغة التى يفهمونها فيتقدم للعمل فى مجال الدعوة وقد يكون ضرره أكثر من نفعه وليست هذه النتيجة شاملة لكل من يتصدون للعمل فى مجال الدعوة فى الغرب، ولكنها غالبة إذ قد وجد من أستطاع أن ينجح ويؤثر ولكن ذلك عدد قليل جدا بالنسبة للكثرة الغالبة التى أتخذت ذلك مصدرا للرزق والتكسب والوجاهة بين الناس فإذا دعوا للحديث عن الإسلام أمام مؤسسات غير إسلامية ـ وكثيرا ما يحصل هذا ـ أساءوا إساءة فاحشة، وأجابوا حينما يسألون إجابات غير صحيحة فكان ضررهم أكبر من نفعهم، وقد تنبهت جامعة الأزهر لهذه الظاهرة منذ سنوات فأنشأت معهد الإعداد والتوجيه، ولكنى لاأدرى ما مصيره الآن وسواء كان باقيا حتى الآن أو لا فإن أثره غير بيّن، وإنى أقترح علاجا لهذه الظاهرة أن نختار من طلبة كلياتنا عندما نتوسم فيهم الإخلاص والإستقامة والإستعداد الطيب والرغبة فى التزود بالمعرفة، ونبعث بهم فى دورات تدريبية إلى المراكز الكبرى فى تلك البلاد ليتدربوا على العمل فيها ويكتسبوا اللغة بإختلاطهم بالناس هناك وينموا مالديهم منها، فإذا تخرجوا كانت لديهم خبرة بالعمل فى تلك المؤسسات، ثم نتبع ذلك بأن نبعث كل من تثبت صلاحيته للعمل فى جهة ما إلى تلك الجهة مدة عام مثلا يتفرغ فيها لتحصيل اللغة ويخصص جانب من نشاطه الأسبوعى للتدريب على العمل فى ذلك المركز أو تلك المؤسسة، بعد أن يتم إتفاق كامل بين المسئولين عن البعثات عندنا وبين القائمين على تلك المؤسسات حتى لايضيع وقت المبعوث فى التردد على هذا أو ذاك، على أن يكون واضحا منذ اللحظة الأولى أن المسئولة المالية تقع بكاملها على الجامعة المرسلة حتى لاتعتذر المؤسسات هناك بعدم مقدرتها المالية على إستيعاب هذه الأعداد وأعتقد أننا بذلك نستطيع فى مدى خمس سنوات أن نلبى أكثر حاجيات الجاليات والمؤسسات الإسلامية فى بلاد الغرب، وسيكون ما أشرنا إليه من قبل عند مناقشتنا لدراسة

اللغات فى جامعاتنا وما اقترحناه لتكون تلك الدراسة جادة ومجدية سيكون ذلك مرحلة أولى تسهل تحقيق ما نقترحه هنا .

هناك ظاهره أخرى فى مجال العاملين فى حقل الدعوة فى الغرب يلمسه من قدر له أن يعمل هناك تتمثل تلك الظاهرة فى أن كثير من إخواننا من البلاد الإسلامية الذين لهم جاليات فى تلك البلاد يبحثون عمن يؤمهم فى الصلاة بعد أن يطول بهم الإنتظار فى إرسال داعية متخصص إليهم - فإذا وجدوا من يحفظ بعض قصار السور من القرآن استقدموه ليؤمهم فى صلاتهم وليلقن أطفالهم بعض ما يحفظه من السور، ومؤهلات هؤلاء لحى طويلة كثة وأجسام ضخام، ومظهر أقرب إلى القبح منه إلى حسن السمت، وهم أشبه ببعض فئات فى عدد من بلاد المسلمين يحفظون بعض سور القرآن يرددونها عند المقابر ليحصلوا على بعض النقود بصورة لا تليق بكرامة القرآن ولا بمكانة حاملية على أن الخطر الأكبر الذى ينشأ عن هؤلاء المتصدرين للدعوة فى بعض أماكن تجمعات المسلمين يجيء من تعرضهم لتحفيظ بعض الأطفال آيات أو سورا من القرآن بصورة منفرة حقا وفى ظروف تغرس فى نفس الطفل الإحساس بأن الإسلام دين غير صالح للحياة الراقية، حينما يعود من مدرسته التى قضى فيها يوما كاملا فى ظروف مريحة وفى بيئة نظيفة وفى أماكن فسيحة معدة بكل وسائل التشويق والترغيب ومع مدرسين أو مدرسات يعاملونه بلطف ورفق، ثم يأتى إلى ذلك الشيخ فيجلس أمامه فى مكان ضيق ووضع سيء وعصا غليظة وتصرف جاف وطريقة سقيمة فى التعليم تصرف الطفل وتنفره وتغرس فى أعماقه الإحساس بعدم الرضا عن انتسابه إلى الإسلام، وهذا هو أخطر ما يترتب على هذه الأوضاع، وواجبنا أن نبحث عن وسيلة نمنع بها هذا التخريب الذى يصيب عقول وإحساس عدد كبير من ابناء المسلمين فى بلاد الغرب نسهم نحن فيه بطريق غير مباشر إذا لم نتخذ من الوسائل العاجلة ما يوقف هذه الآثار المدمرة، وقد بذلت محاولات عديدة غير أنها محدودة الأمكانات ضعيفة التأثير لأنها لاتجد الوقت الكافى، ولا التمويل الذى يحقق المستوى المطلوب لتعليم أبناء المسلمين أصول دينهم بطريقة تبعث فى نفوسهم الإعتزاز بالإنتساب لهذا الدين، وترغبهم فى الإقبال عليه، ومن أهم واجبات الدعوة

الإسلامية فى الغرب وأولاها بالرعاية الحفاظ على الشخصية المسلمة للأجيال الناشئة فى تلك البلاد وتحصينهم ضد الضغوط التى يتعرضون لها فى المدرسة وفى الشوارع وفى وسائل الإعلام التى تقدم لهم نماذج من السلوك والأخلاق والمعتقدات يخالف كل المخالفة ما نحاول غرسه فى نفوس أبنائنا وتربية أجيالنا على التمسك به والحفاظ عليه حتى نحفظ عليهم دينهم وشخصيتهم المسلمة ، ولايتحقق ذلك إلا بتقديم نموذج تعليمى كامل يقدم للناشىء المسلم المعارف العصرية التى يتلقاها لداته فى مدارس الدولة التى يعيش فيها يضاف إليها دراسة الإسلام عقائده وأخلاقه ومعاملته ، وتعريفه بالقرآن ومكانته والسنة ومنزلته ، والنبى ورسالته وموقفه من النبوات والرسالات السابقه كل ذلك إلى جانب دراسته لحضارة الإسلام والعطاء السخى الذى قدمته الحضارة الإسلامية للبشرية والجهود التى بذلها علماء المسلمين فى سبيل تحقيق الرقى الإنسانى سواء فى ميدان التشريع أو الإقتصاد أو السياسة أو العلوم التجريبية إلى جانب ما دعا إليه الإسلام من مبادىء إنسانية عليا تحفظ على الإنسان كرامته وحريته وقيمته كانسان مع التركيز على قضايا العصر وبيان سبق الإسلام إلى تحقيقها من مثل :

حقوق الإنسان ، والتسامح ، وحرية الفكر ومحاربة التمييز العنصرى ، والتكافل الإجتماعى هذا إلى جانب دراسة اللغة العربية وآدابها حتى يتمكن من الاضطلاع باللغة العربية والتحدث بها وإنطلاقا من الإحساس بهذا الواقع الذى يتعرض له الناشئة من الأجيال المسلمة فى الغرب تقدمت بالإقتراح التالى فى ذى الحجة سنة ١٣٩٠هـ فبراير سنة ١٩٧١م إلى مجلس أمناء المركز الإسلامى المكون من سفراء الدول الإسلامية كى يسعوا لدى دولهم ليتعاونوا على تطبيقة فى البلاد الغربية وفيما يلى نص لهذا المشروع لعل الأوان قد آن ليتحقق هذا الحلم على يد هذا المؤتمر الموقر الذى ضم قادة التوجية الإسلامى فى الجامعات الإسلامية :

مشروع إنشاء مدرسة إسلامية

تمهيد : يعانى أبناء الجالية الإسلامية فى إنجلترا من ضياع خطير يتهدد مستقبلهم، وبخاصة أبناء السلك السياسى، والقادمين فى بعثات دراسية أو تدريبية تتراوح بين ثلاث سنوات أو خمس، وسبب ذلك أنهم لا يجدون المدرسة المناسبة التى يتلقى فيها أبناؤهم تعليما متصلا بالبيئات والثقافات فى البلاد التى قدموا منها، والتى سيعودون إليها للعيش فيها مستقبلا .

وقد حلت الجاليات الأجنبية فى بلادنا العربية والإسلامية هذه المشكلات بالنسبة لأبنائهم من أول الأمر. فأقاموا المدارس الخاصة بهم يعلمون فيها أبناءهم بالطريقة التى يحبونها والبلاد الإسلامية غاصة بهذه المدارس التى ترتبط بإسم الجاليات التى تمثلها .

وينفق أعضاء السلك الإسلامى والعربى كثيرا من الأموال لتعليم أبنائهم فى المدارس الخاصة، ثم يشعرون آخر الأمر بأن النتيجة التى وصل إليها الأبناء لم تكن هى الصورة المنتظرة ولا المرجوة، وكذلك الحال بالنسبة لأبناء الموسرين من أهل البلاد العربية والإسلامية الذين يبعثون بأبنائهم إلى هذه البلاد وسواها رغبة فى الحصول على فرصة أحسن مما هو ميسر فى بلادهم، أولأن بلادهم ليس فيها من المؤسسات التعليمية ما يتمكن من الوفاء بتقديم القدر الثقافى المطلوب لتأهيل النشىء إلى الإلتحاق بالجامعات، والتمكن من الإضطلاع على وسائل التربية الحديثة، أولعدم توفر العناصر ذات الكفاءات التعليمية والتربوية التى تستطيع النهوض بمثل هذا الواجب .

وفى دور التعليم هنا من أبناء الدول الإسلامية والعربية وبخاصة دول الخليج المئات بل الألاف من الناشئة الصغار الذين يحتاجون إلى رعاية وتوجيه خاص، يتناسب مع عقائد بلادهم، وتقاليد بيوتاتهم، وهم هنا يتلقون توجيهات خاصة،

ويشبون على إنتهاج مثل معينة، ويأخذون بنماذج من السلوك والتربية والإخلاق تجعلهم يشعرون بالغربة والقلق حينما يعودون إلى بلادهم، ويقعون فى متناقضات مع أهلهم وذويهم ومواطنيهم، وينشأ عن ذلك نوع من الصراع يؤدى الى بعد الهوة بينهم وبين مواطنى بلادهم، وتكون النتيجة أما أن يتركوا بلادهم ويهاجروا إلى بلاد أجنبية، أو يتحولوا إلى عناصر هدم تعود بالضرر الجسيم عليهم وعلى مواطنيهم، وبلادهم هى الخاسرة فى كلتا الحالتين خسارة مزدوجة تتناول الأبناء والأموال اللذين هما زينة الحياة الدنيا، ومن أجل هذه الصورة التى رسمتها والتى أحـــت بآثارها بحكم بقائى هنا سنوات إلى جانب ما أحسى به مما يعانيه الجيل الجديد من أبناء المسلمين المستقرين فى هذه البلاد فإنى أتقدم بالمشروع التالى، راجيا أن ينال إهتمامكم الشخصى وإهتمام أعضاء المجلس جميعا، فيتعاون الجميع على عمل مشترك نؤمن به مستقبل أبنائنا، ونساعدهم على خدمة بلادهم، والحفاظ على مقوماتهم الدينية، وشخصيتهم الإسلامية .

أولا : العمل على إقامة مدرسة إسلامية ذات مراحل أربع : روضة، إبتدائى، إعدادى، ثانوى . حتى يمكن إستيعاب كل الأعمار من الثالثة حتى السادسة عشرة .

ثانيا: أن يكون بالمدرسة قسم داخلى بكل إستعداداته يهيء للتلاميذ إقامة مضمونة، وبخاصة القادمين من البلادالعربية والإسلامية، وبعض أبناء الجالية الإسلامية بإنجلترا الذين يرغبون فى إلحاق أبنائهم بالمدرسة وليسوا مقيمين بلندن، أويقيمون فى أماكن نائيه عن المدرسة وتخضع تلك الإقامة لنظام دقيق وسليم بحيث يحقق للطالب كل ما تنشده التربية الحديثة فى حدود التقاليد الإسلامية ومبادئها .

ثالثا: أن تزود المدرسة بسيارات لإحضار التلاميذ من منازلهم وإعادتهم إليها بعد الدورس .

رابعا: أن يلحق بالمدرسة مسجد يباشر فيه التلاميذ الصلاة حتى ترتبط فى أذهانهم

منذ الصغر ارتباط الثقافة بالعقيدة، وتؤدى دروس الدين فى المسجد ليطبق عمليا ما يقال نظريا .

خامسا: تزويد المدرسة كذلك بصالات للعرض السينمائى ونوادٍ للألعاب الرياضية، وحمامات للسباحة، ومكتبة شاملة تغطى كل المستويات المطلوبة .

سادسا: نظام الدراسة يسير على النحو التالى :

١ - تقوم المدرسة بتدريس المنهج المتبع فى مدارس الحكومة فى إنجلترا الأنجليزى، فى فرنسا الفرنسى فى ألمانيا الألمانى، فى إيطاليا الإيطالى وهكذا كما هو بكل مواده وكما هو موجود فى المدارس الحكومية، وبذلك يتحقق للتلميذ القدر الدراسى الذى يتلقاه زميله غير المسلم فى مدارس الدولة .

٢ - يضاف إلى المنهج السابق مايلى :

(أ) دراسة الدين الإسلامى عقائده وعباداته وأخلاقه وآدابه وتشريعاته ومعاملاته .

(ب) دراسة التاريخ الإسلامى بعيدا عن الخلافات السياسية والمذهبية .

(جـ) دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية ومكانتهما فى الإسلام وما يدور حولهما من دراسات .

(د) دراسة الحضارة الإسلامية وما قدمته للإنسانية فى تاريخها الطويل مع الإشارة إلى عدد من الذين أسهموا فى البناء الحضارى الإسلامى بجوانبه المختلفة من علوم إنسانية إلى علوم تجريبية .

(هـ) دراسة اللغة العربية قواعدها وآدابها ليتمكن التلميذ من قراءة القرآن قراءة صحيحة ومتابعة الفكر الإسلامى فى القديم والحديث .

ونتيجة الدراسة على هذا النحو أن يتخرج التلميذ وقد تهيأ للإلتحاق بأى جامعة يريد فى الشرق أو فى الغرب مع التزود بقدر كاف من الثقافة والمعارف الإسلامية تجعله

على بصيرة بأمور دينه إن اتجه إلى جامعات الغرب، وتسهل له الإنتظام مع زملائه فى الجامعات الإسلامية إن رغب فى ذلك بدون أن يشعر بأى نقص أو قصور، وفى الوقت نفسه تعطى فرصة نادرة ليتعرف جانب ضخم من أبناء العالم الإسلامى بعضهم إلى بعض .

سابعا - تكون الدارسة بمصاريف بالنسبة للقادرين كما هو الحال بالنسبة لأى مدرسة خاصة أخرى ويعفى منها أو من بعضها غير القادرين إذا حققوا نتائج عاليه فى الإمتحانات .

ثامنا - يعين للمدرسة مدير مسلم ومدرسون أكفاء فى موادهم، وإن وجد من الإنجليز مدرسون مسلمون يفضلون على غيرهم فى دراسة المواد التى تدرس باللغة الإنجليزية وكذلك الحال بالنسبة للمدارس التى تقام فى بلاد تتحدث الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية.

خاتمة إذ رأى السادة أعضاء المجلس أن يحثوا دولهم على الإسهام فى تنفيذ هذا المشروع فسيؤدون ولاشك خدمة جليلة تذكر لهم ولا تنسى ، ويتم المشروع بعد إقناع الحكومات الإسلامية به بأن تجمع المبالغ المطلوبة لإقامة البناء والإنفاق على المدرسة وما بها من مدير ومدرسين وموظفين وعمال وأجهزة صيانة وما إلى ذلك ويمكن الإهتداء فى عملية الإنفاق بما تتبعه المدارس الخاصة الأخرى هنا أو فى بلادنا .

هذا وأسأل الله التوفيق إلى خير العمل

كان هذا هو المشروع الذى قدم منذ ستة عشر عاما وقد أخذه كثير من المسئولين وحولوه إلى حكوماتهم وحوله بعضهم إلى منظمة دول المؤتمر الإسلامى بجدة .

ولازال هذا المشروع يحتاج إلى من يضعه موضع التنفيذ فى كل بلد فيه أقلية إسلامية، ولعل مؤتمركم الموقر يعطيه دفعة إلى الأمام فيتحقق الحلم الذى طال إنتظاره، ويكون قد خطا خطوة عملية فى وضع السياسة التى نجتمع من أجلها فى مؤتمرات أخرى مماثلة موضع التنفيذ .

ثانى هذه العقبات عدم توفر الإمكانات المادية التى تساعد على قيام المؤسسات الدعوية فى الغرب بواجباتها، وخضوع ما يتيسر من الإمكانات لبعض الصلات الشخصية التى تترتب على لقاء بعض العاملين فى حقل الدعوة هناك بمن عندهم مقدرة مالية يعرف منه عجزاً فى ناحية ما فيقدم له من العون ما يسد ذلك النقص سدا مؤقتا، ولكن لايمثل إستمراراً لتحقيق سياسة طويلة الأمد فى هذا المجال، ومرجع هذا النقص إلى عدم وجود خطة بعيدة المدى تلبى إحتياجات الدعاة من النشرات والكتب التى يحتاجها العمل فى ذلك الميدان وأذكر أننى أثناء عملى فى لندن كنت أتجول فى بعض الأسواق العامة التى تنصب فى أحياء مختلفة من لندن يوم السبت من كل أسبوع فلفت انتباهى منظر قسيس يدعو الناس إليه ويعرض عليهم بعض المطبوعات فدنوت منه أنا وصاحبى ومددنا أيدينا إليه فأعطى كل واحد منا نسخة من الإنجيل مطبوعة طبعاً أنيقاً على ورق فاخر ومجلده تجليداً ممتازاً وتفرس الرجل فى وجوهنا فعرف أننا شرقيون فسألنا عن لغتنا فلما أخبرناه بأنها العربية مد يده إلى مستودع أمامه فأخرج نسختين من الإنجيل باللغة العربية ونسختين من أسطوانه عليها تراتيل باللغة العربية أيضا وقال لنا إنه لا يريد منا سوى أن نزوره فى كنيسته وانصرفت وأنا مستغرق فى تفكير عميق فى كيفية أستغلال هؤلاء لكل الظروف وتوافر الإمكانات التى تيسر لهم العمل فى خدمة أهدافهم وعجبت كيف يتيسر لهذا القسيس فى قلب لندن نسخ الإنجيل واسطوانات التراتيل باللغة العربية، والمركز الإسلامى قائم فى قلب لندن منذ سنوات وليس لديه من ترجمات القرآن الكريم إلا نسخ معدودة فى المكتبة لمن يتردد عليها للقراءة فيها . ولايستطيع القائمون بالعمل فى المركز أن يقدموا نسخا من ترجمة القرآن لمن يطلبونها من أفراد وهيئات ومؤسسات وكشفت هذه المصادفة العابرة عن النقص الخطير الذى نواجهه فإذا طلبنا مطبوعات من بلد جاءتنا مطبوعات باللغة العربية أغلبها دعاية للحكام وأصحاب السلطان، وإن كنا قد استطعنا بعد ذلك أن نحصل على أعداد وفيرة من ترجمات القرآن الكريم بعث بها بعض المحسنين فى العالم العربى لما بلغتهم قصة القسيس وما لديه من إمكانات، ولكن ذلك يكشف عن أن تصرفاتنا فى مجال الدعوة بعامة إنما هى ردود فعل لأحداث عارضة تثير الحمية والحماس ثم لاتلبث أن تفتر ويعود الأمر إلى ما كان

عليه، والذى ينبغى أن يكون أن ينطلق العمل الإسلامى بعامة والدعوى بصفة خاصة من خطة ثابتة طويلة الأمد يتتابع على تنفيذها كل من يعمل فى تلك المجالات ويحكمها تنسيق عام بين المؤسسات العاملة فى حقل الدعوة ونتيجة لإنعدام خطة ثابتة ينطلق منها العمل الإسلامى تجد الأماكن التى تتعرض لظروف غير عادية نتيجة لأحداث طبيعية كونية كالزلازل والبراكين أو لأحداث من صنع الإنسان كالحروب التى تنشأ بين بعض الدول وتعرض الكثيرون لأهوال الحرب وويلاتها فيفرون إلى أماكن يلجئون إليها يحتاجون فيها إلى رعاية صحية أو مساعدات فى الطعام والإقامة والكساء فى هذه الظروف تجد الذين يقدمون هذه المساعدات هم رجال المؤسسات الكنسية ونادراً ما تجد مؤسسة إسلامية يكون لها وجود وسبب ذلك أن الأخرين ينطلقون حسب خطة مرسومة موضوعة تعطى الإنطباع بأنهم هم الذين يحملون هموم البشرية ويسعون للتخفيف عن ويلاتها، وليسوا أكثر منا مالا ولا عدداً، ولكنهم أحسن تنظيما وإعداداً تجد آثارهم فى أفغانستان وبنجالاديش والصومال ولبنان وسواها من المناطق التى تتعرض لويلات الحرب والدمار وليس يخفى على أحد الإنطباع الذى يتركه هذا التصرف فى نفوس الجياع والمرضى والذين فقدوا ديارهم وإستقرارهم وأعتقد أن بعضا منكم قد ترامى إلى سمعه بعض أنباء هذه الصفقة الغريبة التى تمت فى الصومال عقب الحرب بينها وبين الحبشة والتى نتج عنها عدد كبير من اللاجئين إلى الصومال بعد أن اجتاحت الحبشة مناطق سكنهم، فقد تقدم قسيس بلجيكى إلى المسئولين الصوماليين بأن يتولى رعاية عدد من أطفال اللاجئين وتمت الصفقة بتسليمه أكثر من ثلاثين ألف طفل من أطفال المسلمين يرعاهم ويربيهم ويعلمهم، فعلا سيربيهم على تعاليم الإسلام أم تعاليم المسيحية؟ وماذا سيعلمهم القرآن أم الأنجيل أعتقد أن الإجابة معروفة للجميع، ولكن لا لوم عليه ولاغبار فهو رجل مخلص لدعوته يخدمها بكل الوسائل، ونحن مفرطون فى واجباتنا مشغولون بأنفسنا وأمجادنا الفارغة، ينطبق علينا قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ ولاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم[٧] ﴾ وقس على ما حصل فى الصومال ما يحصل فى بلدان كثيرة من بلاد المسلمين ونحن غافلون، والأمر جد سهل لو صدقت النوايا

وصحت العزائم، فلوا انتهزنا فرصة هذا المؤتمر وأنشأنا المجلس العالمى للدعوة وسعينا إلى أن نجمع له من سراة المسلمين رأس مال يقدر بمليار دولار توظف فى إستثمار حلال وينفق من ريعه على إحتياجات الدعوة فى الشرق والغرب فإننا سنتمكن بعون الله من التواجد فى كل طرف من أطراف الأرض المسلمة نحمد الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الدهر، وتقدم الطعام للجائع والكساء للعارى والمأوى للطريد والأمن للخائف والعلاج للمريض والعلم للجاهل .

ولأقرب صورة التصرف للاخوة الفضلاء إننا إذا وفقنا إلى الحصول على هذا المال بإسم الهيئة المقترحة وأنشىء لهامجلس ممن يقع الإختيار عليهم من العاملين المخلصين ووظف المال كما أقترحنا فإنه لن يأتى بعائد سنوى أقل من مائة مليون دولار نستطيع أن تقيم فى أفريقيا وآسيا مائة مؤسسة سنوية بها مدرسة ومستشفى ومسجد ومجالات أخرى للعمل تنتج وتستوعب عددا من الأيدى المسلمة العاملة، وفى عضون عشر سنوات ستستطيع بعون الله أن تلبى الحاجات الملحة للمسلمين وتبدأ فتقيم لهم المصانع والمؤسسات الإنتاجية بعد أن تحصنهم بالقيم الدينية فى المساجد، والمعرفة النافعة فى المدارس والسلامة الصحية، فى المستشفيات، ثم تنطلق بعد ذلك إلى دعوة غير المسلمين الذين سيرون الصورة الطيبة المشرقة التى أوجدها الإسلام، فهل يا ترى إلى هذا من سبيل، وما ذلك على الله بعزيز.

ثالث هذه العقبات : إنعدام التعاون بين المؤسسات الإسلامية التى تعمل فى حقل الدعوة ويمتد نشاطها إلى العمل الخارجى ومرد ذلك فيما أعتقد هو حب الذات والرغبة فى الإشادة بالجهة التى تقدم المساعدة مما يفسد عليها عملها، ويضيع ثمرته وقد يكون السبب المباشر فى ذلك إنعكاس الصراع السياسى بين الحكام على العمل الإسلامى، فيسعى كل أن يكون له من يدين بالولاء له فى نظير أن يقدم له بعض العون المادى وقد عانى العمل الإسلامى كثيرا من هذه النزعة وأنفقت أموال على جهات ليس لها عمل إيجابى فى الحقل الإسلامى، وترتب على ذلك أن طغى على السطح أعداد كثيرة اتخذت من الإسلام سلما تصعد عليه إلى أغراضها الخاصة، وتأخرت مشروعات كان وجودها مفيد أونافعا للجاليات الإسلامية فى مواقعها،

ولاشك أن هناك مبالغا لا بأس بها كانت تنفق سنويا، ولكن جدواها لايكاد يحس بها أحد لأنها لم تذهب إلى مصارفها الصحيحة وقد لمسنا ذلك أثناء العمل فى لندن فاقترحنا أن تؤلف لجنة من ممثلين للدول التى تقدم تبرعات للمساجد والمؤسسات الإسلامية فى إنجلترا ومعهم ممثل للمركز الإسلامى فى لندن توجه إليها الطلبات التى ترد إلى هذا الدول طالبة المساعدة المالية، وتبعث كذلك بما تريد أن تسهم به فى العمل الإسلامى فى هذا البلد إلى هذه اللجنة وتدرس اللجنة الطلبات المقدمة وتقدر لكل مشروع ما يحتاجه وتقدم ما تراه أولى بالبدء لمبررات تعرفها وتعرضها وبذلك نضمن توجيه المساعدات إلى مستحقيها ونساعد على تنفيذ المشروعات الأكثر أهمية، ولكن للأسف لم يؤخذ بهذا الأقتراح ولازالت الأمور تمضى حسب قناعة المسئولين فى مؤسسة من المؤسسات بحاجة هذا أوذلك، ولست أعنى بذلك أن كل ما يبذل يمضى بلا فائدة، بل أن أمورا كثيرة تذهب إلى مصارفها الصحيحة وبخاصة بعد أن بدأ نوع من التعاون بين ممثلى السفارات والعاملين فى المركز الإسلامى، ولكن الوضع الأمثل لتحقيق أكبر قدر من النفع أن يؤخذ بالاقتراح السابق لتعم الفائدة ويقدم الأهم على المهم .

هذا هو ما بدا لى أن أعرضه على هذا المؤتمر الموقر وأسأل الله أن يسدد خطانا إلى خير العمل فمنه العون وبه التوفيق والسداد .

الهوامـــــش

١ ـ النحل ١٢٥

٢ ـ آل عمران ١٥٩ .

٣ ـ متفق عليه البخارى ١٠/ ٣٧٥، مسلم (١٦٥)

٤ ـ رواه مسلم رقم(٢٥٩٣).

٥ ـ الإستيعاب لابن عبدالبر ذيل الإصابه جـ ١ صـ ٩٧ وما بعدها.

٦ ـ سورة فصلت ٣٣/ ٣٤/ ٣٥.

٧ ـ آل عمران ١٨٨